

عرض كتاب

تنمية للضياع! أم ضياع لفرص التنمية؟
(محصلة التغييرات المصاحبة للنفط في بلدان مجلس التعاون)

تأليف : علي خليفة الكواري

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية

تاريخ ومكان النشر: بيروت ١٩٩٦

عرض: محمد عبدالشفيق عيسى (*)

هذا كتابٌ في أدبيات التنمية الاقتصادية - الاجتماعية العربية، مطبقة على منطقة الخليج ومن خلال مثال دالٍّ هو دولة قطر.

ومن ناحية الشكل فالكتاب يقع في ثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط، بما فيها قائمة المراجع والفهرس. وقد صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، وطبع عام ١٩٩٦ طبعتين. عنوانه الرئيسي: تنمية للضياع! أم ضياع لفرص التنمية؟! وهكذا تثبت علامة التعجب بعد الجزء الأول من العنوان، وعلامة الاستفهام بعد جزئه الثاني..

وما بين الاستفهام والتعجب يكمن سرُّ هذا الكتاب. وينكشف جزء من سرِّه في عنوانه الفرعي: (محصلة التغييرات المصاحبة للنفط في بلدان مجلس التعاون).. ويضاف

(*) مستشار - بمعهد التخطيط القومي - القاهرة.

سراً آخر حين تدرك أن العنوان لم يشر إلى دولة قطر، رغم أن دراسة حالتها الخاصة هي مدار العرض والتحليل كله. ولكن لا بأس من ذلك، فالعبرة هي تقديم قطر كمجرد مثال معبر عن حالة أعم هي مجموعة بلدان الخليج العربية المنضوية تحت لواء مجلس التعاون، وعددها ستة.

وأما المؤلف فهو د. علي خليفة الكواري، يعمل حالياً في النشاط الاستشاري، وله العديد من المؤلفات تتركز على قضايا التنمية في الخليج.

وقد واجهتني صعوبة بالغة حين دُفع إلي بهذا الكتاب لأتولى إعداد عرض عنه لهذه المجلة. فقد وجدت أن الطريقة المعتادة في تقديم عروض الكتب في الدوريات العربية، ليس في مكنتها أن تقدم الصورة الحقيقية التي أراد هذا الكتاب أن ينقلها إلى قارئه. وأقصد بذلك طريقة تتبع أجزاء الكتاب بالتلخيص، وبالتعليق الخاطف، وربما الانتقاد الموثق بين الفينة والأخرى.

فليس هذا كتاباً عادياً، من تلك الكتب التي تقذف بها المطابع العربية كل يوم، وخاصة في مجال دراسات التنمية وفي الصدارة منها الدراسات العلمية للمجال... هو ليس كتاباً تدريسياً Text Book وليس مساهمة بحثية أكاديمية مجردة.. وهو بالأحرى ليس تجميعاً انتقائياً تحليلياً لانطباعات خبير متخصص.

ليس هذا الكتاب شيئاً من هذا كله، وإن كان يجمع في طياته أشياء منها جميعاً: إذ فيه ما يصلح لتعليم طلاب الدراسات الجامعية الأولى والعالية، وفيه عمل أكاديمي، وبه تحليل يصلح لسواد المثقفين المنشغلين بقضايا التنمية في الوطن العربي.

غير أن الكتاب في جوهره رسالة إلى الصفوة العربية عموماً والخليجية خصوصاً، المثقفة والمستغلة بالشأن العام. وهو بهذا المعنى Messege. وهذه بدورها تحتوى همماً أو هاجساً مقيماً يدفع صاحبه دفعاً إلى نقل فحواه إلى الآخرين من بنى وطنه. فهو بهذا المعنى رسالة معنوية Mission.

والخلاصة إذن أن كتابنا اليوم «رسالة» للمثقفين والاقتصاديين والسياسيين، وفيها «رسالة» تنبئ عن قيم محددة يبتغي صاحبها أن يبيتها إلى الآخرين.

.. فماذا يريد أن يقول لنا الكتاب؟
إنه لا يريد أن يقول لنا شيئاً محدداً بالذات فهو (نداء تحذيري) وكفى.. أو هو باختصار: يدق أجراس الخطر!!

وتكفى هذه العبارة لكي يتضح للقارئ أن عرض هذا الكتاب لن يكون من نوع العرض المعتاد. فمّم يحذرنا الكتاب - أو مؤلفه بتعبير أدق؟ وما هي علامات الخطر التي يدق النواقيس من أجلها؟.

يمكن اختزال علامات الخطر هذه على هيئة سؤال أورده المؤلف قرب نهاية الكتاب (ص ٢٦٩) قائلاً:

"السؤال المنطقي الذي يطرح نفسه بإلحاح على أهل المنطقة والمعنيين بمستقبل شعبها - في الوقت الحاضر- في ضوء المحصلة السلبية التي أسفر عنها المسار الخاطيء في الماضي - هو: إلى أين سوف يؤدي استمرار ذلك المسار الخطر بمجتمعات المنطقة وشعوبها في المستقبل؟ لقد فوتت التوجهات الاستهلاكية على المنطقة فرصة بناء قاعدة إنتاجية بديلة من النفط، وضيعت بالتالي فرصة بدء عملية تنمية مستدامة على كل من دولها. فهل تدفع اليوم التوجهات التي ما زالت تحكم مسار الحاضر، بمجتمعات المنطقة إلى الضياع، لا قدر الله، بعد أن ضيعت توجهات الماضي فرصاً ثمينة لبدء عملية تنمية مستدامة؟".

وفي محاولة منه للإجابة على السؤال الذي طرحه بنفسه يقول (في نفس الصفحة) مايلي:

"إن المعطيات التي أفرزتها التغيرات المصاحبة لعصر النفط، إضافة إلى المستجدات الاقتصادية والأمنية التي تشهدها المنطقة في الوقت الحاضر.. كلها -مع الأسف- تدفع بدول المنطقة بشكل عام، والدول الأصغر فيها بشكل خاص، إلى نمط «تنمية» الضياع، إن جاز تسمية التغيرات الراهنة «تنمية».."

ومن هذه الإجابة تتبين لنا وجهة نظر المؤلف، أو رسالته التي يريد أن يقضى بها

